

تفسير السعدي

@ 364 ^ (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل انا يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون * قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل انا يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون * وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن انا عليم بما يفعلون) ^ يقول تعالى مبينا عجز آلهة المشركين ، وعدم اتصافها ، بما يوجب اتخاذها آلهة مع انا : ! 2 2 ! أي يبتديه ! 2 ! 2 . وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير ، أي : ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهي أضعف من ذلك وأعجز ، ! 2 2 ! من غير مشارك ، ولا معاون له على ذلك . ! 2 2 ! أي : تصرفون ، وتنحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء ، والإعادة ، إلى عبادة من لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ! 2 2 ! ببيانه وإرشاده أو بإلهامه وتوفيقه . ! 2 2 ! وحده ! 2 ! 2 بالأدلة والبراهين ، وبالإلهام والتوفيق ، والإعانة إلى سلوك أقوم طريق . ! 2 2 ! أي : لا يهتدي ! 2 2 ! لعدم علمه ، ولضلاله ، وهي شركاؤهم التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تهدي ! 2 2 ! أي : أي شيء يجعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل ، بصحة عبادة أحد مع انا ، بعد ظهور الحجة والبرهان ، أنه لا يستحق العبادة إلا انا وحده . فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون مع انا ، أوصافا معنوية ، ولا أوصافا فعلية ، تقتضي أن تعبد مع انا ، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها ، فلأي شيء جعلت مع انا آلهة ؟ فالجواب : أن هذا من تزيين الشيطان للإنسان ، أقبح البهتان ، وأضل الضلال ، حتى اعتقد ذلك وألفه ، وطنه حقا ، وهو لا شيء . ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : أكثر الذين يدعون من دون انا شركاء ، ! 2 2 ! أي : ما يتبعون في الحقيقة شركاء انا ، فإنه ليس انا شريك أصلا ، عقلا ، ولا نقلا ، وإنما يتبعون الظن و ! 2 2 ! . فسموها آلهة ، وعبدوها مع انا ، ! 22 ! . ! 2 ! 2 وسيجازيهم على ذلك بالعقوبة البليغة . ^ (وما كان ه ذا القرآن أن يفترى من دون انا ول كن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون انا إن كنتم صادقين * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين * وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) ^ يقول تعالى : ! 2 2 ! أي : غير ممكن ولا متصور ، أن يفترى هذا القرآن على انا ، لأنه الكتاب العظيم الذي ! 2 ، ! 2 وهو الكتاب ^ (الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان

بعضهم لبعض ظهيرا) ^ . وهو الكتاب الذي تكلم به رب العالمين ، فكيف يقدر أحد من الخلق أن يتكلم بمثله ، أو بما يقاربه ، والكلام تابع لعظمة المتكلم ووصفه ؟ فإن كان أحد يماثل الله في عظمته ، وأوصاف كماله ، أمكن أن يأتي بمثل هذا القرآن ، ولو تنزلنا على الفرض والتقدير ، فتقوله أحد على رب العالمين ، لعاجله بالعقوبة وبإداره بالنكال . ! 2 ! 2 أنزل هذا الكتاب ، رحمة للعالمين ، وحجة على العباد أجمعين . أنزله ! 2 ! 2 من كتب الله السماوية ، بأن وافقها ، وصدقها بما شهدت به ، وبشرت بنزوله ، فوقع كما أخبرت . ! 2 ! 2 ! للحلال والحرام ، والأحكام الدينية والقدرية ، والإخبارات الصادقة . ! 2 ! 2 أي : لا شك ولا مرية فيه ، بوجه من الوجوه ، بل هو الحق اليقين : ! 2 ! 2 الذي ربي جميع الخلق بنعمه . ومن أعظم أنواع تربيته أن أنزل عليهم هذا الكتاب ، الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية ، المشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال . ! 2 ! 2 أي المكذبون به ، عنادا وبغيا : ! 2 ! 2 ! محمد على الله ، واختلقه ، ! 2 ! 2 ! لهم ملزما لهم بشيء إن قدروا عليه ، أمكن ما ادعوه ، وإلا كان قولهم باطلا . ! 2 ! 2 ! يعاونكم على الإتيان بسورة مثله ، وهذا محال ، ولو كان ممكنا لادعوا قدرتهم على ذلك ، ولأتوا بمثله . ولكن لما بان عجزهم تبين أن ما قالوه باطل ، لا حظ له من الحجة . والذي حملهم على التكذيب بالقرآن ، المشتمل على الحق ، الذي لا حق فوقه ، أنهم لم يحيطوا به علما . فلو أحاطوا به علما ، وفهموه حق فهمه ، لأدعنا بالتصديق به . وكذلك إلى الآن لم يأتهم تأويله الذي وعدهم أن ينزل بهم العذاب ويحل بهم النكال ، وهذا التكذيب الصادر منهم من جنس تكذيب من قبلهم ، ولهذا قال : ! 2 ! 2 ! وهو الهلاك